بعض الدلالات السياسة والأخلاقية لدور المقابر العامة الأثينية فى العصر الكلاسيكى

دكتور/ أحمد غانم حافظ أحمد

المدرس قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أثار ت ملاحظة أيان موريس Ian Morris عن "المقابر في أثينا في العصر الكلاسيكي" - التي أودعها قاموس أكسفورد الكلاسيكي " Oxford Classical Dictionary " في طبعته الثالثة والصادرة عام ١٩٩٦ - جدلا واسعا بين جمهور المتخصصين ، وقد انتهى موريس فيها إلى أ ن الدفن في مقبرة معروفة كان يعد رمزا مبدئيا على تمتع المتوفى بالمواطنة الأثينية [١]، وذلك تأسيسا على ما اقترحه سلفا في عام ١٩٨٧، من اعتبار مراسم الدفن الرسمي في بلاد اليونان عموما وفي أثينا على وجه الخصوص بمثابة ميزة ترتبط بالوضع الاجتماعي والسياسي للمتوفى والمتمثل في المواطنة، على أساس أ ن الدفن في "مقبرة عائلية " يعد بوجهة نظره دليلا على نسبة المتوفى لهذه العائلة ، وفي المقابل أعتبر أ ن دفن المتوفى في أية مقبرة أخرى دو ن مقابر العائلة أمرا من شأنه أ ن يدحض نسبه وسلالته [٢]، وقد أكد على طرحه السابق بطرح آخر قدمه عام ١٩٩١ حيث أكد بشدة على اعتبار المقابر الرسمية المسورة رموزا تثبت تمتع المدفونون بها بالمواطنة، وأن المقابر كانت عنصرا من العناصر الرئيسية من بين طقوس المجتمع في تحديد الهوية [٣] .

والواقع أن ما نلد يه به موريس سلفا جاء اعتمادا على فرضية ساكس جولدستين "Saxe –Goldstein" ، الأمر الذي كان محل نقد [٤] ، من منطلق أ ن اعتماد موريس في تفسيره لحالات الدفن إلوناني القديم على أسس

---

1 OCD , The Third Edition , Oxford , 1996, s.v. cemeteries

2 Ian Morris, Burial and Ancient Society: the Rise of the Greek City – State, Cambridge, 1987, p.54 210.

حيث اعتبر موريس أ ن السلالة تشير إلى تمتع المنتسبين إلها بكافة حقوق المواطنة، بما تتضمنه تلك الحقوق من امتلاك للأراضي والتمتع بالحقوق السياسية، وقد بني على تلك الفرضية رأيا مفاده أن مقابر المواطنين في أثينا في العصر الكلاسيكي تعد من أقوى رموز التأكيد على النسب وبالتالي المواطنة .

3 Ian Morris ,' The Archaeology of ancestors : the Sax- Goldstein Hypothesis revisited ' , CAJ
(Cambridge Archaeological Journal) 1,1991,157,158.

4 S.C. Humphreys, Helios, 17, 1990, pp.263-8., cf. Cynthia Patterson," ' Citizen Cemeteries' in Classical Athens ? ", CQ. 56.1. 2006, pp.48-56.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أنثروبولوجية وعرقية اعتمادا على البند الثامن من فرضية ساكس جولدستين التى تفيد بضرورة نسبة المجموعات المدفونة فى مقبرة واحدة إلى سلالة واحدة يعتقد أنها حاز ت جميعها على نفس الحقوق والطقوس وخصصت لها مساحة مكانية مسورة لتصبح قاصرة على دفن من ينتمون إليها ، كان أمرا صعبا ومؤديا لسوء فهم وخلط تاريخي [٥] .

بالمثل فقد نفت دراسة بالدليل الملد يـ زعم موريس بأن الدفن فى المقابر الأثينية كان ميزة لا يتمتع بها سوى المواطنون من سكان الدولة، وجسد هذا الدليل عدد من الشذرا ت المأخوذة من على شواهد القبور التى حملت نقوشا لأسماء بعض موتى الحرو ب البلوبونيسية عام ٤٠٣ ق.م، وقد عثر إلى جانب أسماء كل قبيلة أثينية منها على أسماء لأجانب و فى بعض الأحيان أسماء لبعض العبيد [٦] .

وقبل الخوض فيما سيعرض له البحث من تساؤلات ، يود الباحث وضع عدد من الحقائق التاريخية نصب عينى القار ئ، منها أ ن أتيكه عرفت العديد من مقابر غير الأثينيين، كما أ ن أثينا ذاتها قد شهدت كثيرا من حالات الدفن الرسمية لغير الأثينيين بها. ونعرف أ ن كان للموت حرمة خاصة لدى الأثينيين، وذلك من خلال قانون أورده ديموثسينيس - جاء على لسان أحد المتحدثين، ويعد واحدا من أهم النصوص التى توضح كيفية معاملة الموتى فى أثينا، وفحواه: "عند وفاة الأفراد فى الأحياء دو ن وجود من يتولى مسؤولية دفنهم فلتدع رئيس المقاطعة يخبر الأقرباء كى يقوموا بمهمة الدفن، وليقوموا بعملية تطهير المقاطعة فى اليوم الذى مات فيه قريب كل منهم، وفى حالة العبيد فعليه أ ن يخبر أسيادهم، وفى حالة المحررين فعليه أ ن يخبر أولئك الذين يتحكمون فى ممتلكاتهم وفى حاله إ ن

---

5 Cynthia Patterson , '' 'Citizen Cemeteries' in Classical Athens '' , op. cit. p. 49.

6 P. Low , ' Remembering war in fifth-century Greece : ideologies ,societies and commemoration beyond democratic Athens ' , World Archaeology 35, 2003,98- 111; and also D. Bradeen , ' The Athenian casualty lists ' , CQ. 19, 1969, 45-159.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كان المتوفى دو ن ملكية فعلى حاكم الحي أ ن يخبر أقرباء المتوفى"[٧] . ويبدو أ ن جميع الموتى قد تساووا فى نيل حق الدفن فى أثينا مواطنين كانوا أم غير مواطنين، وليس لد ل على ذلك من حالة دفن بيثاجورا س من سيليمبريا Pythagoras of Selymbria فى أثينا وغيرها من الحالات التى دفنت سواء فى المدافن الخاصة أم المقابر العامة والتى حوت بالمثل جثثا لمجهولى الهوية [٨] .

على خلفية ذلك الجدل العلمي يأتي هذا البحث محاولا الإجابة على تساؤلات بعينها تعد هى محاوره الأساسية ومنها: ما هى المعايير التى كان يتم وفقا لها اختيار موقع المدافن العامة فى أثينا وما هى دلالات هذا الاختيار؟ و ما هى فلسفة قبول الأثينيين دفن البعض من غير الأثينيين فى مدافنهم العامة ؟ وهل لعبت تلك المدافن دورا فى الحياة العامة فى المجتمع الأثيني بوجه عام يتجاوز دورها التقليدي ؟

أولاً: المدافن الأثينية العامة: الموقع والدلالة

يناقش البحث تحت هذا العنوا ن أولى قضاياه و هى موقع تلك المدافن ودلالته [٩]، وفيما يخص قضية موقع المدافن الأثينية العامة والمعروفة باسم

---

7 Demosthenes , 43 Against Macartatus , 57 58 . LCL.

= حيث يستمر القانون فى عرض مسؤوليات حاكم المقاطعة تجاه عمليات الدفن بما فيها تكاليف الدفن ذاتها بتفاصيل توضح مدى أهمية دور إدارة المقاطعة والمواقف الأثينية حيال المتوفى .

8 Aristotle , Athenian Constitution ,50.2. LCL. ; Demosthenes, 43 Against Macartatus ,57 8 .LCL.

٩ فيما يتعلق بأنواء المدافن فتجدر الإشارة هنا إلى أ ن القصر و صغار الأطفال كانوا يدفنون سويا فى مقابر مجمعة منفصلين عن البالغين ، وفى بعض الأحيان كان الجنود الذين هلكوا فى الحرو ب يدفنون فى مجموعات بعيدا عن مقابر عائلاتهم كما حدث بعد موقعة ماراثونB.C 480 وما تلاها بشكل سنوي حتى نهأية العام الأو ل من الحرو ب البلوبونيسية . راجع :

-Sarah B.Pomeroy , Families and Hellenistic Greece : Representations and Relatives , Oxford University press , 2004, p.116-17.

للمزيد عن مواقع وطقوس الدفن فى بلاد إلونان بصفة عامة وأثينا على وجه الخصوص :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

δημοσ/ιον ση=μα وفقا لثوكديديس، فمن خلال وصف ثوكديديس لها، نعرف أنها كانت بمثابة مدافن أثينية عامة لشهداء الحرب، ولم يقتصر فضل ثوكديديس على التعريف بالتسمية وهوية المدفونين فيها فحسب، بل يعد ما ذكره فى هذا الصدد مساعدا بالمثل على التعرف على كيفية اختيار الأثينيين لموقع مدافنهم العامة حيث يقول:

" .. τιθε/ασιν ου[ν ε)ς το\ δημο/σιον ση=μα , ο3 ε0στιν ε0πι\ του= καλλι/στου προαστει/ου τη=ς πο/λεως και\ αι)ει\ ε)ν αυ)τω~| θα/πτουσι του\ς ε0κ τω~ν πολε/μων πλη/ν γε του\ς ε0ν "Μαραθω~νι.." .. (إنهم) يضعون (المتوفى) فى المقبرة العامة والتى تحتل أجمل حي فى المدينة ، ودائما ما يدفنون فيها أولئك الذين (ماتوا) فى الحرو ب فيما عدا أولئك الذين ماتوا فى ماراثون .... " [10] .

ندرك من الاقتباس السابق أ ن الأثينيين كانوا يختارو ن البقعة الأجمل فى المدينة لتصبح مخصصة لمدافنهم العامة وبينما لم يوضح ثوكديديس مقصوده من وصفه للمكان بأنه "الأجمل"، فإنه وفقا لأحد الدراسات فإن هذا الوصف ينطبق على مكان بعينه فى أثينا، حيث كانت الجبانة الرئيسية تقع بمنطقة الاجورا

-Nicole Loraux , The Invention of Athens : the Funeral Oration in the Classical city , Cambridge , Mass, 1986, pp.117-24.; As H.A. Shaprio , ' The Iconography of Mourning in Athenian Art ' , AJA 95.1991, pp.629-56. esp.646.n.113

حيث أكد شابريو أ ن ليس كل عسكري مات فى ميدا ن الحرب تم دفنه فى المدافن الأثينية العامة ،وبالمثل فقد أكدت دراسة على إنه كان بمقدور الأثرياء وعامة الشعب على حد سواء أ ن يحصلوا على مقابر فى المدافن الأثينية العامة، وهو ما ساعد على دراسة طبيعة التكوين السكاني وطبقات المجتمع داخل أثينا من خلال تلك المقابر . راجع : δημοσιον σημα=

- M.H.Hansen ,Demography and Democracy : the Number of Athenian Citizens in the 4th century B.C , Herning ,Denmark ,1986, 9,11,43,65.

- Thomas Heinen Nielsen et al., ' Athenian Grave Monuments and social class', GRBS 30 ,1989, pp. 411-20

10 Thucydides, Histories, 2.34. LCL.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وامتدت الي ما يعرف باسم جبانة " كراميكوس Κεραμεικος" الواقعة إلى الشمال الغربى من الأكروبوليس [١١] .

تقع "الكراميكوس" خارج بوابة أثينا الأساسية والمعروفة ببوابة ديبيلون، ذا ت البوابتين التى تطل على ضفاف نهر إريدانوس، حيث كانت المدافن العامة موجودة على حدود هذا المكان، وهناك دفن بركليس فى عام ٤٩٢ ق.م، ومن قبله كليشسينيس . فى هذا السياق أكد ديفيد صمول على أ ن المقيمين فى أثينا قد اعتادوا استخدام Κεραμεικος والمقابر الأخرى المحيطة بها [١٢] فى عمليات الدفن منذ نهاية العصر الموكني و حتى القرو ن الأولي من العصر

---

[١١] حدد أحد الباحثين موقع مدافن الكيراميكوس بأنها كانت تقع فى نفس المنطقة التي وجد بها الفخارين والحدادين وذلك خارج بوابة ديبلون البوابة الرئيسية فى أثينا ، وأن تلك المدافن كانت تستخدم لدفن أكثر الشخصيات ثراء وتميزا على وجه العموم ، وقد تميزت تلك المقابر بما وضع عليها من زخارف فنية تمثلت فى آواني الفخار الجنائزية ذا ت الطراز الفني الهندسي وفى شواهد القبور المنحوتة والتي كانت تقام أعلى المقابر فى القرن السلد س ق.م ، وفى بدايات القرن الخامس ق.م بدأ الاتجاه للحد بشكل قانوني من ضخامة وكثرة الزخارف التي كانت توضع على القبور فى تلك المدافن ، إلا أن قيام الحروب البلوبونيسية جاء ليلغي هذا الاتجاه من أساسه لا سيما بعد سقوط عديد من الأبطال والشهداء من القادة الأثينيين : راجع

- ***Marina Belozerskaya & Kenneth D.S. Lapatin , Ancient Greece : Art , Architecture and History ,Getty trust publications : J. Paul Getty Museum , 2004, p.86.***

[١٢] تعرضت القبور الموجودة بالكيراميكوس للعديد من أعمال التخريب والنقل منذ الفترة التي تلت الحرو ب الفارسية

(***Thuc.i 90.3LCL. ;Nepos Them.6) (Aeschin iii 236;Lycurg.i 44***) وفى عهد فليب الخامس أنظر:

Plutarch. Sulla) (Livy xxxi 24.18; xxxi 30.5)LCL. وفى فترة هجوم سولا عام ٨٦ راجع ***14, App.Mith.35)*** إلا أ ن العديد من المقابر المشهورة التي تعود إلى القرن الخامس والرابع ق.م كانت لاتزل موجودة بالكيراميكوس حينما زارها باوزانياس بعد الدمار اللاحق الذي تعرضت له فى القرن الثانى الميلاد ، راجع :

- ***J. Travlos , Pictorial Dictionary of ancient Athens ,1971,30.***

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الروماني [١٣]، وبرأ ي جون بابادوبلوس فإن الأجورا الأثينية فى العصر الكلاسيكى تعد هى الرحم الذى حمل الكراميكوس الذى كان البقعة التى يزاو ل فيها صناع الفخار حرفتهم[١٤].

بناء على ما جاء بوصف ثوكديديس وما أكدته المكتشفات الأثرية من أ ن الكراميكوس كان يشكل جزء من الأجورا الأثينية، ومن خلال ما هو معروف من أ ن الإغريق عادة ما كانوا يضعون مقابرهم خارج أسوار المدينة يعتقد الباحث أ ن اختيار الأثينيين لمواقع مدافنهم العامة فى حي الكراميكوس القريب من الأجورا (قلب مدينة أثينا) إنما يعد أمرا ذا دلالة هامة فحواها هو رغبتهم فى تكريم هؤلاء الموتى بجعلهم جزء لا يتجزأ من الحياة الأثينية اليومية العامة، ويدل كذلك على رغبة الدولة فى جعلهم محلا لاهتمام وتفكير عامة الأثينيين وخاصتهم من مرتلد ي الأجورا اليوميين على اختلاف مبررا ت زياراتهم ، ولتضرب بهم المدينة مثلا حيا أمام أنظار الأجيال من مواطنيها لما يناله المخلصين لها من تكريم وتبجيل بهدف جعلهم مستعدين دوما لنيل هذا الشرف الذى ناله موتاهم ممن خدموا المدينة وأخيرا يبدو أ ن اختيار الموقع يوحى برغبة لا شك فيها فى إعلاء لقيمة دورهم وخدماتهم التى طالما بذلوها لصالح المدينة .

وإذ اتضح من الدراسات الأثرية السابق الإشارة إليها أ ن مدافن الكراميكوس كانت هى المدافن الرئيسية العامة **δημοσιον σημα**[١٥]، فإن

---

13 David B. Small (edit.) , Methods in the Mediterranean : Historical & Archaeological views on Texts and Archaeology , E.J. Brill , The Netherlands, 1995, p.143.

وقد حدد صمول منابع المعرفة الأثرية عن المدافن الأثينية بمصدرين أساسين أولهما هو ما تم الكشف عنه فى مقابر ال **κεραμεικος** حيث أكد أ ن تلك المقابر ظلت مستخدمة فترة طويلة من الزمن وحددها بالفترة من ١١٠٠ و حتى ٢٠٠ ق.م ، والثانية هو ما تم الكشف عنه فى مقابر ميدان syndagma والتي تعتبر جزء من مقبرة أوسع و هى المعروفة باسم البوابة الديوكاريه Diocharian Gate والتي ظلت مستعملة على الأقل من عام ٧٥٠ و حتى عام ٣٠٠ ق.م

[14] John K. Papadopoulos , Ceramicus Redivivus : The Early Iron Age Potters ' field in the area of the classical Athenian Agora , the American School of classical Studies at Athens , 2003, p.21.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ما سجله باوزانياس يوضح انه كانت هناك مقابر أخرى خارج المدافن الرئيسية العامة، حيث أوضح أنه على طول جانبي الطرق وجدت مقدسات الأثينيين ومقابرهم سواء مقابر أنصاف الآلهة أو البشر بالضواحي خارج المدينة (أثينا) (Paus.i.29.2)، مبينا أ ن المقابر ضمت رفات كل الأثينيين ممن لقوا حتفهم سواء فى معركة بحرية أو برية بينما خلت تلك المقابر من أية مقبرة لأي من محاربى ماراثون مفسرا ذلك بأن أولئك قد أقيمت مقابرهم فوق أر ض المعركة ذاتها كتذكار يشى بشجاعتهم ، بينما كانت بقية المقابر متناثرة على جانبي الطريق المؤدية إلى الأكاديمية ، و قد أقيم شاهد فوق كل مقبرة منهم يحمل اسم المتوفى والضاحية التى ينتمي إليها (Paus.i.29.4).

وطبقا لتعلق مارجريت د ، فررال فإن المقابر قد تناثرت فى أثينا انطلاقا من بوابة ديبيلون Dipylon فى شارع عرف باسم شارع المقابر فى ثلاثة اتجاهات ، الاتجاه الأول ويمثله الطريق المؤدية إلى الأكاديمية والاتجاه الثاني فيمثله الطريق المقدسة والمؤدية إلى ضاحية إلوسيس Eleusis ، أما الاتجاه الثالث والأخير فيمثله الطريق المؤدية إلى بيريه Piraeus ، وهى الطريق التى حددتها د ، فررال بأنها تحوي المقابر الأثينية الخاصة وقد نالت تلك المقابر

---

[15] ***Margaret De Verrall , Mythology & Monuments of Ancient Athens , with introductory essay and archaeological comments by Jane E. Harrison, London, 1890.***

أوضحت مارجريت دى فررال فى تعليقها على شارع المقابر الوارد وصفه بكتاب باوزانياس أ ن باوزانياس قد عدد أنواع المقابر بين مقابر عامة ومقابر خاصة ومقابر مجمعة وقد حوت جميعها رفات كل من عاشوا وماتوا فى خدمة الوطن ، كما نوهت إلى أن تقرير بوزانياس فى هذا الشأن جاء بالضرورة دو ن مراعاة لترتيب زمني، =ومن أهم المقابر التي ذكرت كانت مقبرة المشرع الأثيني "سولون" حيث يتضح مما نقله باوزانياس أ ن الأثينيين قد دفنوه على نفقة الخزانة العامة قرب البوابات (مثل ديبيلون Dipylon)

وأن مقبرته قد ضرب حولها بسور ، وبالمثل فقد ذكرت مقبرة الطبيب السكيثى توكساريس الذي لم يعد إلى موطنه ومات فى أثينا وقد اعتبر بطلا وأهدي له الأثينيون محرابا بوصفه طبيبا مغتربا " راجع ص.٥٧٢ وعلى وجه الخصوص حاشية رقم ٣٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شهرة نظرا لارتباطها بوجودها متصلة ببعض الآثار العامة و التى اهتم باوزانياس بوصفها مثل محرا ب أرتميس ومعبد صغير لدبونيسوس [١٦].

وفى دراسة نشرتها جمعية معلمى اللغة اليونانية الكلاسيكية بجامعة كامبريدج رأ ي روبين أوسبور ن أ ن عملية الدفن فى أثينا فى العصر الكلاسيكى كانت تحدث فى الكرميكوس Κεραμεικος الخارجى والموجود على جانبى الطرق الرئيسية المؤدية إلى أتيكة والتى وجدت على جنباتها المدافن العامة التى أقامتها كل من الدولة ذاتها و العائلات وأن أهم وأشهر تلك المدافن هى تلك التى وجدت بالكرميكوس الخارجي حيث كان هو المدفن الرئيسى الذى ضم تلك المقابر وغيرها من الآثار الجنائزية مثل التلة التي ألقى من فوقها بركليس خطبته الجنائزية ٤٣٠/ ٤٣١ ق.م [١٧] .

الواقع فإن ما انتهى إليه كل من جون بابادوبلوس و روبين أوسبور ن من نتائج مبنية على جهود الكشف الأثرى الذى قامت به كل من المدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية فى أثينا وجمعية معلمى اللغة اليونانية الكلاسيكية بجامعة كامبريدج أمر من شأنه أن يزيد رواية باوزانياس وضوحا ، إذ تم اكتشاف المدافن العامة بالكرميكوس الداخلى التى دفن بها شهداء الحرو ب ضمن موتى أخرين من بين الشخصيات التى خدمت المدينة بشكل عام (سياسى/ اجتماعى)، وقد ذكر باوزانياس نفسه أنه سار بين قبورهم فشاهد مقبرة كليثسينيس (1.29.6) ومقبرة زينون (1.29.15) التى أكد ديوجين لائرتيوس بالمثل على وجودها[١٨]، ومقبرة ايفيالتيس (1.29.15) ومقبرة ليكورجوس (1.29.15)[١٩]، وقد عثر

---

[16] *Margaret de Verral , op. cit. p.570-1.*

17 Robin Osborn, The World of Athens : An Introduction to classical Athenian culture , Joint Association of classical teachers ' Greek course , university Cambridge press, second edition , 2008, p. 79 .

18 Diog. Laert. 7.11.LCL.

[١٩] المقصود بليكورجوس هنا هو شخصية ليكورجوس رجل الدولة الأثيني والخطيب السياسي الذي لعب دورا هاما في الحياة العامة الأثينية خاصة بعد معركة خايرونيا وهو ما جعله مستحقا لتكريم الأثينيين بدفنه في الكيراميكوس راجع : *OCD.,s.v.Lycurgus(3);s.v.Sparta(2) ; History (c)*

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أيضا داخل المقبرة العامة بالكيراميكوس على مقابر لغير الأثينيين كما سلفت الإشارة في موضع سابق من البحث فبالإضافة إلى مقبرة بيثاجورا س من سيليمبريا[٢٠]، وجدت مقبرة سيلينوس من ريجيوم [٢١]، ومقابر السفراء الكورنثيين[٢٢].

ثانيا : دور المدافن الأثينية العامة:

بعد أ ن عرض البحث القضية الأولى المتعلقة بموقع المدافن الأثينية العامة وانتهى إلى ما لهذا الموقع من دلالات، يناقش البحث تحت هذا العنوا ن قضية ثانية متعلقة بسابقتها هى دور المدافن فى المجتمع الأثيني فى العصر الكلاسيكى، فبعيدا عن قضية تحديد الموقع فقد أثار بوللى لو فكرة ذا ت صلة بموقع المدافن ودورها وفحواها أن تخصيص أثينا موقعا تذكاريا وجبانة لتخليد ذكرى شهداء الحرو ب منتصرين كانوا أم مهزومين يعد قضية ذا ت صلة بالديمقراطية الأثينية، إذ لعبت مثل تلك المواقع التذكارية دورا هاما فى المجتمع الأثيني الكلاسيكى لم يقل بأى حال عن الدور الذى تلعبه حاليا – بوجهة نظره- نظيرتها فى غرب أوروبا، وبالرغم من أنه قد أوجد وجها للشبه بين تلك الموجودة فى أثينا الكلاسيكية ونظيرتها فى أوروبا فى العصور الحديثة إلا أنه من الجهة الأخرى رأ ي أ ن مثل تلك المواقع التذكارية والمقابر المجمعة تدل بشكل ما على اختلاف موقف الديمقراطية الأثينية من الحرب عن غيرها من بقية الديمقراطيات الحديثة منها من حيث أ ن تلك المواقع التذكارية كانت توظف لترسيخ معني وقيمة الديمقراطية واعتبارها (المباني التذكارية) رمزا لأفضل نظام سياسى ارتضاه الأثينيون وحققوا من خلاله أقصى درجات ازدهارهم، وبالتالى فكانوا يشيدو ن هذه المواقع التذكارية الجماعية تخليدا للقتلى من جهة وإعلاء من

---

20 Pythagoras of Selymbria (IGI 3 . 1154)
21 Silenos of Rhegium (IGI 3.1178)
22 The Corinthian Ambassadors (IGI 3.5225)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شأن الديمقراطية من جهة أخرى، وبالتالى لم تحمل ذلك الكم من معاني الاعتذار مثلما حملته المواقع التذكارية فى الديمقراطيات الحديثة [٢٣] .

وفى نفس سياق أهمية موقع المدافن العامة من منطلق أ ن المواقع التذكارية ومقابر شهداء الحروب على وجه التحديد كان يتم توظيفها فى خدمة قضايا المجتمع بوجه عام، يورد بوللى لو ما يؤكد تلك الفكرة من خلال ما جاء بالمصادر الأدبية من خطب ذا ت طابع جنائزى، ومنها على سبيل المثال ذلك الاقتباس الذى أورده كسينوفون من خطبة ثراسيبيلوس Thrasybulus التى توجه بها للديمقراطيين الأثينيين وهو بصدد مواجهة الحرب الأهلية التى وقعت فى ٤٠٤/٣ ق.م حيث يقول فيها :

ὦ μακάριοι δῆτα, οἳ ἂν ἡμῶν νικήσαντες ἐπίδωσι τὴν πασῶν ἡδίστην ἡμέραν. εὐδαίμων δὲ καὶ ἄν τις

---

[23] Polly Low , " Commemorations of the war dead in Classical Athens : remembering defeat and Victory '' In David M. Pritchard, War , Democracy and culture in Classical Athens , Cambridge University press , 2011, p. 341-2.

ناقش بوللى لو أ ن المدافن الأثينية العامة وجدت بها مساحة ليدفن بها شهداء الحرب جنبا إلى جنب مع من ماتوا أثناء خدمة الوطن فى أ ، موقع آخر دو ن ميدا ن المعركة وقد أقيمت لهم مقابر تتناسب و أهمية دور كل منهم فى الحياة العامة الأثينية وهو ما يوضح كيف كان الأثينيون يعلون من شأن المهتمين بالعمل العام ويضعونهم فى مصاف من ماتوا فى الحرب منتصرين كانوا آم مهزومين وأنه وفقا للدليل الأثرى فلا يجب الاعتقاد أبدا بأن الموقع التذكار ، الذي أقيم لشهداء الحرب كان يختلف عن بقية المقابر التي أولتها المدينة بالمثل تبجيلا وعناية لا تقل بأى حال عما أولته للموقع التذكار ، للمدنيين من الشهداء وقد أكد على فكرة الأثينيين لربط الموت بالمجد بشكل عام بعدد من الإبجرامات : منها

φσυχα/ς δ0 αντιρρο{π}αθε/ντες (IGI 3 1179.12-13, dated to 432)

و تعنى (بوضعهم حياتهم فى الميزا ن كسبوا بلدا متميزا مشهورا

ε0{λλ}α9χσαντ' α0ρετε\ν πατρ{ι9δ' }ευ0κλ{ε/}ι2σαν

راجع الصفحات من ٣٤٥ - ٣٤٧. وللتعرف علي بعض امثلة للمباني الجنائزية في غرب اوروبا التي قارنها بوللي لو بنظيرتها الأثينية . راجع ص. ٣٤٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ἀποθάνῃ: μνημείου γὰρ οὐδεὶς οὕτω πλούσιος ὢν καλοῦ τεύξεται [24]

" يا أيها المباركون حقا ، رجالنا الذين حققوا النصر، إذ شهدوا أحلى يوما من بين جميع الأيام ، وبالمثل فإن من لقى حتفه سعيد لأن ما من شخص مهما بلغت درجة ثرائه سيحصل على ما حصل عليه من قبر (أثر) مجيد (جميل) "

هكذا ومن خلال ما توافر من معلومات وشواهد أثرية وأدبية فلا يستبعد الباحث استخدام عملية الدفن بالمدافن العامة بالمدينة كأحد وسائل تحفيز المدينة ذاتها لمواطنيها على العمل والتفانى من أجل خدمة مصالحها العليا [٢٥] . وعلى الرغم من عدم كون مدينة أثينا مدينة عسكرية الطابع بمقارنتها بمدينة إسبرطة إلا أ ن هذا لم يحل دو ن توظيفها لمدافن قتلى الحرو ب فى إعلاء قيم الشجاعة القتالية والإبقاء عليها كشاهد على منجزا ت الماضى . ونجد الخطب الجنائزية - التى كانت تلقى غالبا فى احتفالات جنائزية بعد إتمام مراسم الدفن - تقف شاهدا حيا على ما كان يناله قتلى الحرو ب من تقدير وتبجيل ليس فقط من جانب الدولة ولكن أيضا من جانب مواطنيهم ، بل وفى اعتقاد البعض أنها كانت تلعب دورا هاما فى الاحتفال الجنائزى بعد إتمام عملية الدفن فى تشجيع المواطنين على مثل تلك المشاركة المدنية[٢٦] وبا ن أخذ بعض الكتاب ممن سجلوا مثل تلك الخطب على قائليها إنها تعرض فى بعض الأحيان لتفاصيل المعركة التى استشهد فيها الجنود الموجهة إليهم الخطبة بالأساس ومن بين أولئك الكتاب ثوكيديديس نفسه الذى أبدى امتعاضه ورفضه لوصف حرو ب الماضى أو الحاضر رفضا قاطعا [٢٧] .

---

[24] Xenophon , Hell.2.4.17. LCL.
25 Arist. Rh.1361a 34-7, Arist.Rh.Al. 2.15-17.LCL.
26 Polly Low , op. cit. , p. 349.
27 Thucydides, Histories , 2.36.4. LCL.
وبينما ابدى ثوكيديديس اعتراضه على أ ن تصف الخطب الجنائزية أحدا ث حرو ب الماضي والحاضر، فقد أسهبت بعض الخطب التي ورد ت فى محاورا ت أفلاطون على سبيل المثال فى التركيز على فئة بعينها من

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن بين الدلائل التى تؤكد على توظيف الأثينيين لمثل تلك الشواهد الجنائزية فى تعظيم الرغبة لدى المواطن الأثيني فى نيل شرف الموت دفاعا عن الوطن، ذلك الدليل الذى ساقه ليكورجوس - رجل الدولة الأثيني والخطيب السياسى - سلبا عن ليوكراتيس الأثيني **Leocrates** الجبان الذى عليه أ ن يخجل من العودة إلى أر ض الوطن كى يدفن فى المدافن العامة **δημοσιον σημα** حيث أ ن دفنه بها لا يحظي بقبول ذويه من الأحياء ولا من الأموا ت[٢٨]، حيث يتضح من تلك الرواية كيف كان المجتمع الأثيني يلفظ الجبان حيا وميتا وفى المقابل كيف كان يشرف من هم على قيد الحياة والأموا ت الذين دفنوا بأر ض المدينة بالشجعان ممن قدموا أرواحهم فداء لخدمة قضايا وطنهم ، بل و نعرف من خلال متحدث لدى ديموستنيس يحاو ل إثبات تمام تمتعه بالمواطنة الأثينية بشكل قانونى، كيف كان اعتزاز الأحياء بموتاهم لاسيما من هلكوا أثناء خدمتهم للوطن، وما يترتب على تلك الوفاة من مجد وشرف يظل يتمتع بهما أهل المتوفى ومنها تمتعهم بحقوق المواطنة الأثينية، فى هذا السياق نجد المتحدث يشير إلى أ ن خاله المدعو أميثيون كان واحدا

=الشهداء وهو ما نعرفه من خلال محاورة مينيكسينوس التي ركز فيها المتحدث الضوء على المنتصرين فى الحرو ب الفارسية وفى الحملة إلى صقلية راجع : ***Menex.242e***

γὰρ ἐνταῦθα ἔδειξαν, στασιασάσης τῆς Ἑλλάδος περιγενόμενοι τῷ πολέμῳ, τοὺς προεστῶτας τῶν ἄλλων Ἑλλήνων χειρωσάμενοι, μεθ᾽ ὧν τότε τοὺς βαρβάρους ἐνίκων κοινῇ, τούτους νικῶντες ἰδίᾳ. τρίτος δὲ πόλεμος μετὰ ταύτην τὴν εἰρήνην ἀνέλπιστός τε καὶ δεινὸς ἐγένετο, ἐν ᾧ πολλοὶ καὶ ἀγαθοὶ τελευτήσαντες ἐνθάδε κεῖνται, πολλοὶ μὲν ἀμφὶ Σικελίαν

" هذا فإنهم قد أكدوا بانتصارهم فى الحرب حين كان الإغريق فى عداء (قطيعة) وبغزوهم لأولئك الذين تولوا قيادة بقية الإغريق، حينما قاموا وبمفردهم، بهزيمة تلك المدينة التي بفضل ما قدمته من دعم سابق انتصروا =على البرابرة. هذا السلام تبعه حرب ثالثة وهو ما لم يكن متوقعا، بينما لقي كثير من الرجال الشجعان حتفهم ودفنوا هنا، كثيرا منهم تنسب إليهم عديد من الانتصارات فى صقلية "

28 Lycurgus , Leocr.142.LCL.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من بين من خدموا بمعسكر الحرب فى الحملة على صقلية وأنه قتل هناك وأنه دفن بالمدافن العامة تكريما له [٢٩].

καὶ ὁ μὲν Ἀμυθέων ὁ τῆς μητρὸς ἀδελφὸς τῶν ἐν Σικελίᾳ στρατευσαμένων καὶ τελευτησάντων ἐστίν, καὶ τέθαπται ἐν τοῖς δημοσίοις μνήμασιν: καὶ ταῦτα μαρτυρήσεται.

"... أميثيون ، هو أخو والدتى ، كان واحد ا ممن خدموا بمعسكر الحرب فى صقلية ولقى حتفه ، ودفن بالمقبرة العامة وسوف تثبت لك تلك الأمور".

لم ينقل لنا ديموستنيس فقط وجهة نظر العامة من الأثينيين تجاه موتاهم لاسيما ممن ماتوا أثناء تأدية واجب عسكرى، وإنما نعرف منه أيضا كيف تحولت مقابرهم لتصبح بمثابة مرشدا عاما لمنجزا ت أثينا السياسية حيث تحولت إلى مزارا ت عامة - بفعل موقف الدولة ذاتها التى رأ ت أ ن هؤلاء جديرو ن بأن ينالوا شرف الدفن تحت إشرا ف الدولة نفسها [٣٠] - بعد أ ن كانت تحظى بزيارا ت خاصة فقط بأهل المتوفى وذويه .

---

29 Demosthenes , Against Eubulides , 57.37.LCL.

يقصد بالحملة على صقلية تلك الحملة المدمرة التي شنها الأثينيون على صقلية والتي خرجت فى عام ٤١٥ ق.م ، وقد استعان الباحث بالترجمة المنشورة فى :

Demosthenes , Demosthenes With an English translation By Norman W. Dewitt ,PhD. and Norman J. Dewitt ,PhD. Cambridge MA, Harvard university press , London , William Heinemann Ltd. 1949.

30 Demosthenes , On the Crown , 18.208; cf. Demosthenes , Demosthenes With and English translation By C.A. Vince ,M.A. and J. H. Vince M.A. Cambridge , MA , Harvard University press , London , William Heinemann Ltd. , 1929.

ناقش نيجل ويلسون فى مقالته عقيدة الدفن فى الأيمان الإغريقي بوجه عام حيث رأ ى أ ن الإغريق طالما اعتقدوا أنه على قدر ما بجلوا وقدروا موتاهم فسوف يبادلهم الموتى خير بخير وهو ما يفسر بوجهة نظر الكاتب حرص الإغريق على تقديم الأضحيات والقرابين للموتى من ألوا ن مختلفة من الطعام والشرا ب والأهم كان منح الإغريق لموتاهم مقابر لائقة واستكمال طقوس الدفن بالخطب الجنائزية التي تلى عملية الدفن مباشرة بهدف تأبين المتوفى خاصة شهداء الحرو ب مستشهدا بما ورد لدي ديودور الصقلى وثوكيديديس

Diodorus siculus , 11.33.3LCL ; Thucydides ,2.34.LCL. see

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ونعرف من بين ما جاء بين سطور الخطب الجنائزية أ ن التضحية بالنفس في سبيل إعلاء شأن الوطن كانت أسمى دلائل ولاء المواطنين لدولتهم [٣١] وهو ما نفهمه على سبيل المثال من خلال خطبة بركليس الجنائزية التى سجلها ثوكيديديس، إذ مدح فيها شجاعة المحاربين الأثينيين فى تغلبهم على الخوف من مواجهة الأعداء فنالوا تشريفا وتبجيلا فى مقابل رفضهم للذل والمهانة بتفضيلهم الموت فى لحظات المجد دو ن الموت فى لحظات الخوف والتردد[٣٢]، وهى ذا ت الفكرة التى أكد عليها ليسياس فى خطبته الجنائزية إذ القى الضوء على غياب الخوف بين صفوف القوا ت الديمقراطية التى حاربت كل من الإسبرطيين وحماة الأوليجركية، مؤكدا على أ ن مقابرهم الموجودة بين مقابر الإسبرطيين تقف شاهدا للعيان على تميزهم رغم أ ن نتيجة المعركة النهائية جاءت فى صالح الإسبرطيين فى ايجوسبوتامي عام ٤٠٤ ق.م [٣٣] .

بشكل عام فقد انتهى أحد الباحثين إلى القول باعتبار المدافن الأثينية ضمن المخلفات الأثرية ذا ت الطبيعة السياسية على اعتبار أ ن الحالة الأثينية وحدها تشكل وحدة خاصة وأن مدافنها لم تكن مجرد مدافن عادية بقدر ما كانت ترمز لهوية المدينة السياسية، وقد بدا ذلك واضحا من خلال تشريع كليسثنيس الذى كان يهدف إلى إقرار المساواة القانونية ισονομια والديمقراطية [٣٤]، وفى هذا السياق يشى قانون سولون - الذى سبق تشريع كليسثنيس - الذى سنه عام ٥٩٤ ق.م بمدى حرص الأثينيين على المقابر – تقديرا لأهمية دورها السياسى - وقد منع سولون بموجب هذا القانون كثيرا من ممارسات النساء

-Neigl Wilson (edit.) , Encyclopedia of Ancient Greece , Routledge , 2006 , s.v. Cult of death .

31 Jonathan P. Hesk , Deception and Democracy in Classical Athens , Cambridge university press , 2000, p.111

32 Thucydides , Histories , 2.42.4.LCL.

33 Lysias , 2.63.LCL.

34Tonio Ho"lscher , ' Images and Political Identity : the case of Athens ' , In Polly Low (edit) , The Athenian Empire , Edinburgh university press , 2008 , pp.294- 334. p. 325.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التى اعتدنها فى أدائهن للطقوس الجنائزية وحمي بذلك كلا من المقابر والآثار الجنائزية المحيطة بها من أ ن تنتهك قدسيتها ، كما قام بعد ذلك بوضع قانون يتعلق بحجم القبور sepulchra التى ظهرت فى الكيراميكوس حيث نص القانون على أنه لا يجب بأي حال من الأحوال أ ن يقوم شخص ببناء مقبرة يحتاج بناؤها أكثر من ثلاثة أيام، وبأيدى عاملة لا تزيد عن العشرة ، كما منعت أعمال التزيين على الحوا ف باستعمال أسلوب الرسم على أرضية من المونة غير الجافة المعرو ف اصطلاحا لدى جمهور الآثاريين باسم " الفرسكو - Fresco "، كما منع إلقاء الخطب الجنائزية[٣٥] فيما عدا الخطب الجنائزية العامة، ويدل ما جاء بقانون سولون علي هدفه من تحديد عدد الأيام والعمال ألا تكون مساحة المقبرة كبيرة وتراعي البساطة في بنائها بعدم تزيينها . وفى تفسير سالى همفريس أ ن ذلك القانون كان الهدف منه الحد من كثافة الزيارا ت التى كانت تصاحب الجنائز على الرغم من أن القانون قد أولي اهتماما كبيرا بأحجام وأشكال القبور وشواهدها وطرق تزيينها[٣٦] وهو ما يؤكد فكرة تحويل الدولة لتلك المقابر لتصبح رمزا عاما من رموزها وليس مجرد مزار تطؤه أقدام كل المواطنين فى كل الأوقات فيفقد ماله من رمزية.

هذا ولم يكن تشريع سولون هو الدليل القانونى الوحيد الذى يمكن أ ن يؤكد على أهمية المقابر والحفاظ على دورها وبقاءها فى المجتمع الأثيني كأحد معالم تاريخه الاجتماعى والسياسى والعسكرى، لكن أيضا نجد فى القرار الذى سنه ديمتريوس الفاليري نفس الروح والصادر فى عام ٣١٧ تقريبا والذى قضي

---

[٣٥] يعتقد الباحث أ ن ما منعه قانون سولون محل العرض أعلاه هو الخطب الجنائزية الخاصة التي كانت تقدم للمتوفى من ذويه أثناء تأدية طقوس الزيارة، وعن القانون بشكل كامل راجع , ***Plutarchus , Solon*** ***21.LCL; Dem.xliii,62,*** . وراجع أيضا :

- M.I. Finley , ' Land , Debt , and the man of property in Classical Athens ' , PSQ (Political Science Quarterly) vol. 68 No.2,1953,pp.249-268.

٣٦ أرجع معظم المؤرخين تاريخ هذا القانون إما لعام ٥١٠ أو لعام ٤٨٠ ق.م راجع :

-S.C. Humphyres , The Family , Women and Death , London , 1983,pp.85-87.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعدم إتمام أية إجراءا ت للدفن ليلا ، وفرض عدة قيود على بناء شواهد قبور أو قبور جديدة وأحجامها وهو القرار الذى كان محل نقاش فى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد سواء بين الأفراد أنفسهم أو بين العائلات داخل المدينة [٣٧].

على أ ن القول باعتبار المدافن ضمن المخلفات الأثرية فا ت الطابع السياسى كان مسبوقا من قبل بعض الدارسين بفرضية مفادها أ ن شواهد القبور فى حد ذاتها - بوصفها جزء من طقس جنائزى معقد يضاف إلى عملية الدفن والرثاء - لعبت دورا تجاوز مجرد تخليد ذكرى سلالة ما إلى دور أكثر أهمية ألا وهو تخليد ذكرى المرء بوصفه كان يحيا بمجتمع أكبر، تلك الفرضية التى أكد منطقيتها ما ورد لدى شيشرو ن من وقائع تشير إلى حرص الأثينيين على الحفاظ على المقابر بعيدا عن الطقوس الجنائزية المتكررة التى تضر بالحالة العامة للمقابر وبمجتمع دولة المدينة [٣٨] .

ويبدو أ ن شواهد القبور حفظت - بما حملت من أسماء سبقت فى الغالب باسم الأحياء التى ينتمي إليها المتوفين - للأثينيين حقوق المواطنة عن طريق تمييزهم عن غيرهم من الذين قدموا إلى المدينة واستقروا فيها حتى نهاية أجلهم، وهذا ما يفسر حرص كليستينيس على تشجيع الأثينيين على أ ن يطلقوا على بعضهم البعض الأسماء مسبوقة بتعريف اسم الحي الذى ينتمي إليه كل منهم [٣٩] . وفى نفس سياق الحفاظ على ما للموتى من الأثينيين من حقوق

---

٣٧ عن المزيد بشأن ما جاء بقرار ديمتريوس الفالري وعن الجدل الذي أثاره فى المجتمع الأثيني فى بدايات القرن الخامس ونهايات القرن الرابع ق. م راجع:

- Elizabeth A. Meyer ,' Epitaphs and Citizenship in Classical Athens' , JHS vol.113,1993, pp. 99-121.p.107

38 Cicero , De Legibus , ii 59-66.LCL.

39 Aristotle , Athenaion Politeia , 21.4.LCL.

ويوضح وايتهد فى مؤلفه انه برغم تشجيع كليستنيس للأثينيين على إتباع عادة ذكر الاسم مسبوقا باسم المدينة (القرية الأم) التي ينتمي إليها صاحب الاسم إلى جوار اسم الأب ، إلا أن تلك العادة لم تنتشر بسرعة فى المجتمع الأثيني حتى فى وثائق التعامل الرسمي كانت غير متبعة بشكل رسمي بقدر ما كانت تتم بطريقة تطوعية أكثر منها رسمية .راجع :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فقد حدد ت أثينا في بواكير القرن الخامس ق.م لكل من الأفراد أو العائلات ما يمكنهم فعله فيما يتعلق بمقابرهم وشواهدها، بل وشرعت قانونا يحفظ أحقية موتى الحرو ب بالتحديد في الحصول على جنازا ت متبوعة بخطب جنائزية لتأبينهم، وذلك نظرا لظهور عدد ضخم سواء من المقابر الشخصية أو آثار شهداء الحرو ب خصوصا في الفترة مابين ٤٩٠ إلى ٤٣٠ ق.م [٤٠] .

من خلال ما أمدتنا به شواهد قبور المدافن العامة الأثينية بالكيراميكوس أمكن عمل قوائم شملت أسماء موتى الحرو ب، إذ وفقا لما جاء على الشواهد ذاتها فقد دونت إلى جانب أسماء المتوفين أسماء الأحياء التي ينتمون إليها، وكذا دو ن اسم المعركة التي لقوا فيها حتفهم، كما أسهمت الإبجرامات الجنائزية في تكوين تلك القوائم، الأمر الذي ساعد على تصنيف المتوفين، ومعرفة الأثينيين الخلص من دو ن الأثينيين، وهو ما يزيد - في تقدير الباحث – من قيمة دراسة شواهد القبور بالكيراميكوس، ليس من منطلق ما تمثله الدراسة من أهمية اجتماعية فحسب، ولكن أيضا من منطلق ما تمثله القبور وشواهدها من قيمة سياسية، على أساس أ ن ما دو ن عليها يمكن لأصحابها من الأثينيين من الاحتفاظ بنسبهم الصحيح لموطنهم الأصلي (أثينا)، وهو ما يساعد دارسي التاريخ على فهم طبيعة الحقوق التي كان يمكن للمواطنين التمتع بها حتى بعد وفاتهم من جهة، ومن جهة أخرى وعلى نفس الصعيد فإنها تظل دليلا حيا على

- D. Whitehead , The Demes of Attica 508/7-ca 250 BC: a Social and Political study , Princeton ,1986 70. n. 14.

بينما رأ ى نيكول لورا أ ن قوائم الأسماء بما اشتملت عليه من أسماء مسبوقة بتعريفات لاسم القرية الأم التي ينتمي لها المتوفى واسم أبيه لا تعدو – بوجهة نظره ذا ت أهمية تعريفية بعائلته – بل تكمن أهميتها الأساسية في الإشارة إلى نسب هذا المتوفى إلى مجتمع ديمقراطي أكبر ، فكان الأهم في ما جاء قرين حالة كل متوفى ممن جاءت أسماؤهم بالقوائم أ ن تذكر أنه " أثيني " .راجع :

-Nicole Loraux , The Invention of Athens : The Funeral oration in the Classical City , op. cit., p.23.

40 W.K. Pritchett , The Greek State at War iv , Berkeley, 1985,117-124; N. Loraux , The Invention of Athens : The Funeral Oration in the Classical city, op.cit,28-37.cf. Elizabeth A. Meyer,'Epitaphs and Citizenship in Classical Athens ' , JHS vol.113 , op. cit ,p.108.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

منجزا ت الأثينيين فى المجالين العسكرى والسياسى، ولذا عمدوا إلى الحفاظ عليها كما يفهم من قوانين كل من سولون وديمتريوس الفإلري من بعده.

يشي قانون سولون السالف ذكره بأن المجتمع الأثيني قد عرف تسابقا ما بين كل من الأفراد والعائلات خاصة الطبقة الأرستقراطية فى عملية تزيين المقابر وهو ما دعي سولون نفسه لفرض قانون للحد من عمليات البناء وبالرغم من أنه قد تم تفعيل العمل بهذا التشريع لفترة طويلة[٤١]، نظرا لتغير طبيعة ظروف المجتمع الأثيني أثناء وبعد الحرو ب البلوبونيسية 431/ 404 B.C، إلا أن مجرد صدور هذا القانون يحمل الباحث على الاعتقاد فى الدور الذى يمكن أ ن تلعبه القبور وشواهدها فى الاستدلال على مدي قوة أو ضعف المجتمع الأثيني اجتماعيا واقتصاديا خاصة وأن الديمقراطية الأثينية قد وفرت ما كان قاصرا على أبناء الطبقة الأرستقراطية فى المجتمع الأثيني من قبور فخمة تدل على قدرة عائلاتهم الأرستقراطية لكل مواطن ليس بصفته الشخصية و إنما بصفته جزء من الدولة وهو ما يؤكد توجه الديمقراطية الأثينية ناحية التبني شبه الكامل لجميع المواطنين ذلك التبنى الذى كان يحف المواطن حيا وميتا إيمانا منها بأهمية دوره – لاسيما إ ذ كان جنديا – فى حماية الدولة فى حياته ومماته على حد سواء[٤٢]

فى نفس السياق يورد أفلاطون تأكيدا على قيمة قتلى الحرو ب فى المجتمع الأثيني فى محاورته مينيكسينوس على لسان سقرا ط، حيث أوضح على

---

[٤١] إ ن إسرا ف الطبقة الأرستقراطية فى بناء وتزيين مقابرهم يجعلنا نعتقد بأن هذا القانون يسير في نفس الخط العام لتشريعات سولون التي جاءت بمثابة الخطوة الأولي لمحاولة تقليص حدة الفوار ق الطبقية في المجتمع الأثينى التي تجعل من فخامة القبور أحد هذه المظاهر

[٤٢] لم يكن هناك استثناءا ت بين المواطنين الأثينيين فى تمتعهم بدعم الدولة طالما يعدو ن مواطنين صالحين وتصب كل منجزاتهم فى صالح إعلاء شأن الدولة ومالها من مجد وسيادة ونفهم ذلك من موقف الأثينيين تجاه تمجيد الرياضيين ممن قضوا نحبهم .راجع :

- L. Kurke, The economy of kudos .In cultural politics in Archaic Greece: Cult, Performance, Politics (eds. C. Dougherty & L. Kurke) Cambridge university press,1993,pp.131-6342Plato, Menex.236. d, LCL.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لسان الأخير وجوب إحياء ذكرى الشهداء وتكريمهم عن طريق رعاية الدولة لأبنائهم وذويهم بتوفير سبل العيش الكريم لهم، كما وجه سقراط فى خطبته تلك حديثه للمستمعين قائلا لهم "إ ن الشهداء إنما يستمعون إلى أهليهم وأ ن الأسلاف لن تقر عيونهم إلا بتفوق الأبناء عليهم"[٤٣]

وبالمثل فإن ما جاء بافتتاحية "القوانين" لأفلاطون يفسر لنا بشكل ما حرص الأثينيين على تخليد ذكرى قتلى حروبهم على وجه الخصوص بالاحتفاظ بحقهم فى التكريم عن طريق دفنهم بمقابر مخصصة لذلك الغرض، حيث يذكر "أ ن كل دويلة كانت بالطبيعة طرفا فى حرب غير معلنة مع دويلة أخرى" [٤٤]، حيث يتبين من جملته أ ن دويلات المدينة فى العصر الكلاسيكى كانت تحيا فى ظل حرو ب متصلة وأن فن الحرب شكل ركيزة أساسية من ركائز بلاد اليونان سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا فى العصر الكلاسيكى [٤٥].

ومن بين دلائل تأثير الحرو ب على البناء الفكرى والاجتماعى على سبيل المثال هى تلك القوانين اليونانية التى أصبح لها بعد ذلك "طابعا عالميا " و التى نظمت أسلوب معاملة شهداء الحروب ،و إذا كان جمع جثث الموتى والحفاظ عليها أثناء المعركة يعد أحد السمات التى يتمتع بها المنتصر فى الحرب، فقد كانت إعادة جثث القتلى للطرف المهزوم تعد أحد السمات الأخلاقية التى تميز المنتصر[٤٦]، تلك القوانين التى تؤكد بشكل يكاد يكون قاطعا على أ ن إكرام الموتى (من بين شهداء الحرو ب فى أثينا) كان يبدأ من اللحظات الأولى لوفاتهم دو ن انتهاء، وهو ما يؤكد بشكل ما على فلسفة الأثينيين - على وجه الخصوص - فى حرصهم علي إعلاء شأن مواطنيهم حتى بعد وفاتهم، والواقع أ ن التركيز

---

44 Plato, the Laws, 626a4. LCL.
45 Polly Low , ' Remembering war in fifth century Greece :Ideologies , Societies ,and Commemorations Beyond democratic Athens ' , op. cit. , pp.98-111.
46 William Kendrick Pritchett , The Greek State at War iv , op .cit , pp.94-100.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على دراسة فلسفة الأثينيين - بالذا ت دو ن بقية الإغريق- في دفن جثث شهدائهم يعد أمرا لا يخلو من مبرر، فهى المدينة الديمقراطية الأكبر والأهم، كما كانت هى المدينة التى قدمت نفسها على أنها النموذج والمدرسة [٤٧]، وشكلت تجربتها فى هذا المجال بالتحديد تفردا سواء من حيث المبلد ئ الفلسفية أو الممارسة على حد سواء [٤٨] .

من خلال مناقشة الدور الذى لعبته المدافن الأثينية العامة يخلص البحث إلى أ ن المقابر الأثينية لم تكن مجرد مكان تتوار ي فيه جثث الموتى سواء من المواطنين الأثينيين أم من غير الأثينيين، بل ويبدو أ ن المقابر قد لعبت أدوارا تنامت وتطور ت باختلاف تطور ظرو ف وفكر المجتمع الأثيني. فإذا كانت المقابر فى فترة الحرو ب الفارسية- وهى الفترة التى غلب فيها الصراع بين القوى الاقتصادية على الوصول لسدة الحكم فى المجتمع الأثيني – قد لعبت دورا اجتماعيا هاما عن طريق تأكيدها على الطبقة الاقتصادية التى جاء منها ذلك

---

[٤٧] فى هذا الصدد يبدو أ ن أثينا بنظامها الديمقراطي فحسب لم تشكل تفرد، بل يبدو أنها كانت لها من الممارسات والعادات ما كان قاصرا عليها فقط ، منها عادة إعادة جثث شهداء الحروب للجانب المهزوم بعد انتهاء المعركة ، وهى العادة التي سار عليها الأثينيون دون بقية شعوب بلاد إليونان الأخرى ومنهم البوؤتيون ، فعلى سبيل المثال صور الأثينيين لدي ليسياس على أنهم عزموا أمرهم على القيام بحرب ضد طيبة (بوصفها قائدة الحلف البوؤتى)، حتى يلقونها درسا فى كيفية احترام جثث شهداء الحرب . راجع :

(Lysias, Funeral Oration §7-10) ، تلك الممارسة ظلت موجودة لدي الأثينيين حتى فى فترا ت لاحقة وقد عبر عنها ثوكيديديس سلبا، حينما وصف كيف كان موقف أهل بوؤتيا – حينما هزموا الأثينيين فى معركة ديليون *Delion 424B.C* – وكيف اعترضوا على إعادة جثث شهداء المعركة بخلاف ما تقضي به الأعرا ف اليونانية من إعادة جثث شهداء المعارك للطرف المهزوم . راجع :***(Thucydides , 4.97.2-99)***

48 Robertson N. , ' The Collective burial of fallen soldiers of Athens , Sparta and elsewhere: ' ancestral Customs ' and modern misunderstanding ', Echoes du Monde Classique / Classical Views 28, pp. 87-92.

يقترح روبرتسن فى مقاله أ ن فلسفة التعامل مع جثث الموتى بهذا الشكل من التكريم والتبجيل لابد وأنه جاء من أثينا على وجه التحديد على أساس أنها المدينة النموذج ويأتى تفردها فى التعامل مع جثث شهدائها موازيا لتفردها فى دعوتها للديمقراطية ، ورأى أن مثل هذا الأسلوب لا يمكن وأ ن يتناسب أو يتواجد إلا فى ظل إطار سياسى وفكرى مثل الذى كان الذي كان متوافرا فى مدينة أثينا .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المتوفى أو ذاك، فجاءت مقابر الأفراد والعائلات المنتمية لتلك الفترة لتصبح الأكثر تميزا من حيث الحجم أو التزيين، وفى الوقت نفسه لم يعدم المجتمع الأثيني اهتمامه بالشهداء من مواطنيه الذين هلكوا دفاعا عن قضاياه وحرية واستقلال أراضيه ضد محاولات الفرس العسكرية لغزو بلاد اليونان ومنها ذلك الانتصار الخالد الذى حققه الأثينيون على الفرس فى ماراثون ٤٨٠ ق.م ذلك الانتصار الذى خلده المجتمع بمقابر اقتصرت على قتلى المعركة و بأعمال أدبية نالت شهرة واسعة آنذاك ومنها على سبيل المثال ما قدمه ايسخيلوس فى تراجيديته "الفرس" ليخلد بها ذكر الانتصار وذكرى من ماتوا دفاعا عن الوطن ولتبقي درسا يتعلم منه الأجيال، وبعد انحسار خطر الفرس عن بلاد اليونان، ومع اختلاف و تطور فكر المجتمع الأثيني الذى شهد - فى المرحلة اللاحقة - مخاضا سياسيا ديمقراطيا غير مسبوق، يبدو أ ن المقابر لم يتراجع دورها بحيث يظل قاصرا على الدلالة الاجتماعية والاقتصادية وهو الدور الذى طالما باتت تلعبه فى عصور سابقة، إذ بدأ فى استخدامها للتعبير عن قوة الدولة وتوجهاتها السياسية والعسكرية، فجاءت معبرة عن حرص الدولة على دعم مواطنيها الصالحين فلم تبخل عليهم وهم رقود بمقابر تبجل انتصاراتهم وحياتهم التى قضوها لقاء خدمة الوطن، فتحملت الدولة تبعاتها الاقتصادية تجاه أولئك ليس ذلك فحسب بل وظفت تلك المقابر العامة لتصبح شاهدا على وفاء الدولة لمواطنيها المخلصين، وهو ما كان يهدف إلى تشجيع نظرائهم على التسابق فى أداء خدمات جليلة إلى المجتمع من أجل النهوض به سياسيا وعسكريا ورياضيا وبكل شكل يحقق للمجتمع ازدهارا وتطورا سعيا وراء الفوز بشرف تبجيل الدولة له ولسلالته من بعد وفاته .

أخيرا وبناء على التقدير السابق، يمكن القول أ ن دراسة توظيف الدولة للمقابر فى المجتمع الأثيني فى العصر الكلاسيكى توظيفا سياسيا - ربما يعد بشكل ما - دليلا دامغا على الانتقال الفكري والحضار ي الذى حدث فى المجتمع الأثيني فى تلك الآونة ، ذلك المجتمع الذى حاو ل جاهدا على مدار

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تاريخه التخلص من النزعة الانفصالية - التى غرست فيه بفعل ظرو ف جغرافية قاسية – لصالح نزعة جماعية أكثر اتساعا ، ذلك التحول من الفردية (الانفصالية) إلى الاتجاه نحو التجمع والاتحاد كان فيما يبدو ضروريا من أجل مواكبة أحدا ث مشروع أثينا التوسعى (الإمبراطورية الأثينية) وهو المشروع الذى حاولت أثينا من خلاله شحذ الهمم والطاقات لتحقيق غاياتها العليا .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Sources

- Aeschines .

- Aristotle. Athenian Constitution .

- Cicero , De Legibus .

- Demosthenes

- Diodorus Siculus

- Diogenes Laertius

- Livius

- Lycurgus

- Lysias , Funeral Oration .

- Nepos Them.

- Plato , Laws , Menexenus .

- Plutarchus , Vitae .

- Thucydides ,Histories .

Articles

- Bardeen , ' The Athenian casualty lists ' , CQ 19.1969, pp.45-159.

- Finley, M.I., ' Land ,Debt and the man of property in Classical Athens', PS (Political Science Quarterly), vol.68.No.2.1953.pp.249-68.

- Low, Polly , ' Remembering war in fifth-century Greece : Ideologies ,Societies and Commemorations beyond democratic Athens ' , World Archaeology 35.2003,pp.98-111.

- Meyer, Elizabeth A., ' Epitaphs and Citizenship in Classical Athens ' JHS vol,113.1993,pp.99-121.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- Morris, Ian , ' The Archaeology of ancestors : the Sax- Goldstein Hypothesis revisited ' , CAJ (Cambridge Archaeology Journal) 1.1991.

- Neilsen, Thomas Heinen et al. , ' Athenian Grave monuments and social class' , GRBS 30.1989,pp.411-20.

- Patterson, Cynthia ,' Citizen Cemeteries 's in Classical Athens ? ' , CQ.56.1.2006.

- Robertson, N., ' The collective burial of fallen soldiers of Athens, Sparta and elsewhere: ' Ancestral customs' and Modern misunderstanding ', Echoes du Monde Classique/ Classical Views .28.pp.87-92.

- Shaprio, H.A., ' The Iconography of mourning in Athenian Art', AJA 59.1991, pp.629-65.

References

- Belozerskaya ,Marina & Lapatin Kenneth D.S, Ancient Greece: Art, Architecture and History, Getty Trust Publications: J. Paul Getty Museum, 2004.

- De Verrall, Margaret, Mythology and Monuments of ancient Athens: with an introductory essay and archaeological comments by Jane E. Harrison, London, 1890.

-Dewitt, Norman W. & Dewitt Norman J. (Trans.), Demosthenes: with an English translation, Harvard University press, London, William Heinemann Ltd.1949.

- Hansen ,M.H., Demography and Democracy: the Number of Athenian citizens in the 4th century BC, Herning ,Denmark ,1986.

- Hesk, Jonathan P., Deception and Democracy in classical Athens, Cambridge university press, 2000.

- Ho"lscher, Tonio , ' Images and Political identity :The case of Athens ' , In Polly Low (edit.) , The

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Athenian Empire , Edinburgh university press , 2008.pp.294-334.

- Humphreys ,S.C., the Family, Women and Death, London, 1983.

- Kurke, L. (edit.), the economy of Kudos .In cultural politics in Archaic Greece: Cult Performance, Politics, Cambridge university press, 1993.

- Loraux ,Nicole, the Invention of Athens: The Funeral oration in the Classical city, Cambridge MA, London, 1989.

- Low, Polly, ' Commemorations of the war dead in classical Athens: Remembering defeat and victory ', In David M. Pritchard, War, Democracy and Culture in Classical Athens, Cambridge university press, 2011.

- Morris, Ian, Burial and ancient society: The Rise of the Greek city – state, Cambridge, 1987.

- Osborn, Robin, the World of Athens: An introduction to classical Athens culture, joint association of classical teachers' Greek course, Cambridge university press, second edition, 2008.

- Papadopoulos, Jhon K., Ceramicus redivivus : the Early Iron Age Potters' field in the area of classical Athenian Agora , The American School of Classical Studies at Athens ,2003.

- Pomeroy, B. Sarah, Families and Hellenistic Greece: Representations and Relatives, oxford university press, 2004.

- Pritchett, W.K., The Greek State at War, vol.4, Berkeley, Los Anglos and London, University of California press, 1985.

- Small, B. David (edit.) , Methods in the Mediterranean : Historical and Archaeological views on

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

texts and Archaeology ,E. J. Brill , The Netherlands , 1995

- Travols, J., Pictorial Dictionary of ancient Athens, 1971.

- Vince, C.A. & Vince J.H. (trans.), Demosthenes: with an English translation, Harvard University press, London, William Heinemann Ltd., 1929.

-Whitehead, D., The Demes of Attica 508/7-ca 250BC: a social and political study, Princeton, 1986.

- Wilson, Neigl (edit.), Encyclopedia of Ancient Greece, Routledge, 2006.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com